

لاعات

أسامة قرمان



صورة القلاب والرسوم المتحركة، حسن جهان

قصص قصيرة



منتدی سور الأزبکیة

WWW.BOOKS4ALL.NET

لغات

قصص قصيرة

تأليف

أسامة قرمان

لآءآآ

(قصص قصيرة)

آآآآف: أسامآة شَرَمَان

الناشر: دار العلوم للنشر والتوزيع

رقم الإبداع: 2006/1735

الترقيم الدولي: 977-380-077-6

الطبعة الأولى: 1427 هـ / 2006 م

العنوان:

43 ب شارع رمسيس - أمام جمعية الشبان المسلمين -
الدور السادس - شقة 71 - معروف .

المراسلات: ص ب: 202 محمد فريد 11518 القاهرة

هاتف: 5761400 (202) فاكس: 5799907 (202)

إدارة المبيعات:

0124940270 = 0101636192

البريد الإلكتروني:

daralaloom2002@yahoo.com

daralaloom@hotmail.com

حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر

إهداء

إلي روح أستاذي الجليل، وصديقي النبيل الذي علمني الكثير..

د. النعمان القاضي

وإلي أستاذي القدير الذي جعلني من أحرار الفكر..

د. عبد المنعم تليمة

وإلي كل من خفق قلبي بحبهم.

أسامة..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



القاهرة بغداد

اهتف من قلبي .. (يسقط رعاة البقر .. يسقط رعاة البقر
.. يسقط .. يسقط ..) جلدي يقشع .. قلبي يزداد خفقا
دموع فى عيني. (نفس المكان منذ سنين..نزار ضد
الهيزيمة.. كرامتنا تتزف.. نواجه عصى الجنود .. دوار
الضربة التي نزلت على جمجمتي تجعلني أترنج .. خيطة
من دم لزج ينسال على رقبتى.. اشتد هجوم الجنود ..
سواد ملابسهم يعتم مجال إبصاري .. أتهاوى تحت
الأحذية الضخمة .. ألمح بعض رفاقي يتساقطون بجواري
.. آخرون يقاومون .. صوتهم يجلجل ضد الطغاة ..
ضربات الهراوات تتلاحق فوق رأسي المنشق.. تنفتت
عظامه .. ينطلق وميض من أعماق المخ المتهرئ..
يصعد إلي عليين .. يمتزج بأطياف الأزل .. ينتظر جسدا
يتلاءم مع إشعاعيته الخاصة .. يحل فيه .. فادرك أنني
هو حينما تشعل وجداني أنباء الغزو الأمريكي للدنيا ..)
تدهمنا الوحوش البشرية سوداء الزي ثانية .. نتساقط فوق
أسفلت الطريق.. بعضنا ينزف.. وآخرون بلا حراك تخنقهم

رائحة الغازات المنهكة.. رأسي يتشقق من جديد.. وميض
روحي ينطلق شعاعا يمتد عبر الأثير.. يدور حول آفاق
بغداد.. يحل في جسدي المنزلق من غياهب الغيب.. (انتظر
الصباح ساهدا .. "سهيلة" .. زميلتي في جامعة بغداد .. لا
تصدق أننا التقينا من قبل ..

- جمعتنا مروج الزهر.

- أين ؟.

- في فضاءات الأزل.

- أنت تبالغ .

- لكنني صادق .

- وبعد ؟ .

- أحبك .

- واهم .

- كنا معا .

- أين ؟ ! .

- في الأجواء السرمدية .

- عدت للخيالات، أفصح عن نواياك .

- الارتباط .

- نتزوج؟! .

- أمل .

- بلا حب؟ .

- أحبك .

- بلا كرامة ؟ مع الاحتلال؟ .

- سنقاوم (....)

أفريق من غيبوبتي .. أنتبه .. أنهض .. أندفع نحو الغزاة ..

أصنع مع الآلاف كتلة بشرية هادرة .. نرفع الأعلام ..

نجا .. (يسقط الطغاة .. يسقط الغزاة ..)

نار تحرق يدي .. تتحدر الراية .. أتناولها بالأخرى ..

مقذوف ثان يمزق ذراعي .. أتشبث بالراية .. رصاصة

ثالثة في صدري تصرعني .. ألمح جاري يسحب الراية من

يدي .. يجار (تسقط أمريكا) .. يرفعونه علي الأعناق ..

يواصل (تسقط أمريكا .. عملاء أمريكا ..) و .. رصاصة

في قلبه .. يهوي أرضاً .. يتناول زميله الراية .. يكمل

قيادة المسيرة .. يشتد تدافع الآلاف نحو ذوي الوجوه

الحمراء .. يتقهقرون .. يركبون مصفحاتهم .. ويعودون ..
بينما أتسرب من الجسد المتهرئ الغارق في بركة الدم
المسفوك .. وأطير إلى عليين .. أبحث عن كيان يتوافق مع
كنهي الطيفي كي أعود من جديد.



لاوات

نصب النحاس خيمته الكبرى .. وخلف الستار وقفت فتيات
أقمار تشرحن الصدر، وتبهجن النفس، وتشعلن الرغبة،
وتلهين الشوق!

عودهن سمهري.. وصدورهن عاجية وبشرتهن ناعمة تنادى
رماح الطعن!.. وبالذور .. كانت واحدة .. واحدة .. تخرج
من خلف الستار وعليها غلالة رقيقة لا تلبث أن تسقط من
اهتزاز حركاتها الراقصة وهي تؤدي مشهداً كاملاً .

وجاء الدور عليها لكنها رفضت الخروج فجأة.. أبت أن
ترقص أمام هؤلاء السفهاء . لم يرهبها وعيد النحاس
بالجلد.. أعلنت ترحيبها بالموت مائة مرة ولا تمضغها أفواه
الوحوش.

قال صاحب الجلالة الملك المفدى في حفله السنوي الفاخر
المدعو إليه كل مادم وشاكر:

- هذا نصبناه وزيرا قبلوا يده .

ففعّلوا إلا واحدا . قال الوزير:

- هذا نصبناه مديرا . قبلوا يده .

ففعّلوا إلا واحدا . قال المدير :

- هذا نصبناه مفتشا يراقب ومنقبا يحاسب . قبلوا يده .

ففعّلوا إلا واحدا . أمروه . رفض . عذّبوه . رفض . هددوه
بأيذاء أبنائه . رضخ !

وفى احتفال (يوم اللثم العالمي) حضر جميع الضيوف وكل
الوفود.. واقتاده الحراس وحده إلى الساحة الخالية.. ولحق
به " المفتش " يسير في خيلاء.. وعلى السلام الدائرية
المحيطة بالساحة والمتصاعدة إلى أعلى.. آلاف
الجماهير تشاهد خضوع الثائر . رجال البلاط.. الخاصة
الملكية.. الحاشية .. أعضاء جمعية المنتفعين .. وكل الخبثاء
.. كانوا جميعا ينظرون إليه في شماتة . أما الشرفاء فكانوا
ينظرون إليه بإشفاق !

تقدم خطوة.. انحنى.. أمسك يد المفتش بأصابع يده
اليسرى.. وفجأة.. دس يده اليمنى في جيب سترته القطنية،
وأخرج سكيناً وهو يها على اليد المنتظرة القبلة
الذليلة.. صرخ المفتش صرخة مروعة .. ورددت جوانب
المكان أصداء أصوات الهلع من الجميع .. وهم يرون كفاً

تغطيها الدماء تتراقص على الأرض ورجلاً يقف وسط
الساحة يصيح:

- ولكنني لم أقبل اليد !!

- ٣ -

كان تلاميذ الفصل الأول من الصف الرابع الابتدائي يتصايحون ويتضاربون.. يدخل المدرس غاضباً.. صوته يزمجر.. كلماته تتفجر. اختار عشرة صبيان من آخر الفصل المزدهم بخمسين غيرهم.. أمرهم بالمثل أمامه خلف السبورة السوداء.. أمسك عصاه المصنوعة خصيصاً لدى نجار عجوز.. وراح يحركها أعلى وأسفل ورأسه يتابع إيقاعها بإيماءات متلاحقة جعلت أولهم يفهم الرسالة من خبرته القديمة بعقاب الأستاذ الذي لا مهرب من الاكتواء به فمد يده مبسوطاً كل البسط لتتلقى لسعة العصا الحارقة وتلحقها صرخة مسحوبة يكتمها بمجرد استقبال عينيه لنظرات جلاده النارية.

ويتكرر المشهد ثمان مرات.. ويأتي دوره.. يقف شامخاً.. يفكر بسرعة.. يلصق ذراعيه بجنبه.. كفاه مضمومتاً الأصابع.. وأسنانه تضغط على الفكين.. وعيناه تتسعان

وتبرزان من محجريهما.. يتلقى ضربة غادرة من العصا
باغنته فجأة.. فيئن بصوت مكتوم.. ويستعد لملاقاة الضربة
التالية.. لكنه يفاجئ الجميع بحركة إلي الخلف تجعل
المدرس الغاضب يتهاوى على أرض الحجرة المغبرة بذرات
الطباشير البيضاء..فتفكك أوصاله وتسقط من ثنايا جسده
كثيراً من التروس التي يقبل عليها المقهورون الصغار
يسحقونها بأقدامهم.. بينما ظل الصبي المقاوم صامداً في
مكانه .. ونظرته تنقب أستار الأفق.



حكاية الشيخ علي

نفس الحديث يسمعه كل يوم منذ تم تعيينه في المدرسة. لكن الحديث يكتسب كل يوم نغمة جديدة!.. حينما ذهب ليقدم أوراقه إلي ناظر المدرسة شعر أن صراعا يدور في المكان. مرت أيام. واتضحت ملامح الصورة.

بدأ يعيش أحداث القصة المثيرة التي نشأت قبل أن يأتي. في مادة اللغة العربية لم يكن بالمدرسة سواه و زميل آخر مرقى من المرحلة الابتدائية كما أخبره حضرة الناظر. أما المدرس الثالث.. "الشيخ على" فقد كان متغيبا في إجازة مرضية .. إلي هنا.. والأمر يبدو عاديا .. مدرس مريض حصل على إجازة .. حقه .. لكن الأمر لم يكن كذلك .. لم يأخذ الشيخ على الإجازة المرضية إلا نكاية في الناظر.

في البداية .. لم يكن يعرف من منهما على حق . كل ما يسمعه هجوم الناظر على الشيخ الغائب. وروايات على لسان الشيخ يرددها زملاؤه. كلما انفرد بالناظر راح يشن هجوماً عنيفاً .. (الأفلاق .. المتمارض .. الخائن لأمانة العمل .. يأخذ الفصل بعد المدرسة إلي منزله ليعطيه دروسا خصوصية .. لا يشرح .. ويفتر المكتب غير كاملة و) هكذا يستفيض ناظر المدرسة. أحس برغبة شديدة في الذهاب إلي هذا الرجل .. أن يرى بطل هذه القصة التي يضيف إليها كل واحد في

المدرسة فصلاً جديداً. توجه إلى داره مع مدرس العلوم الشاب .. لم يجده .. عاد وفضوله يزيد. زميله يرى أن المسألة كلها تحد بين الرجلين. وأن الناظر خسر المعركة .. وكسبها الشيخ على بانقطاعه عن العمل بسند قانوني. بينما هو يحس أن الناظر يضيق على الشيخ الخناق .. ومصمم كما يقول على أن (يخرب بيته) !

لم يكن يشعر بالتعاطف مع الشيخ .. رغم أنه زميل يدرس نفس المادة .. والمفروض أن يكون معه كما أوصاه بعض مدرسي اللغة العربية في المدارس المجاورة .. لكنه لم يشعر بذلك التعصب الذي يجعله يؤيد موقفه لهذا السبب الفئوي.

قابله الناظر في اليوم التالي بابتسامة عريضة .. طلب له فنجان قهوة .. توقع أن يحدثه بشأن الشيخ .. صدق ظنه .. نهض الناظر .. أحضر دفتر التقارير .. أشار بإصبعه إلى سطور كتبها مفتش اللغة العربية في إحدى السنوات بخصوص الشيخ على: "أوصى هذا الرجل أن يقرأ المجلات، و الصحف اليومية"

وفى تقرير آخر: "أرى أن يمارس التجارة أولى من التدريس!"

غريبة .. إلي هذا الحد ! إذن الناظر على حق .. وهذا الرجل يستحق فعلاً كل هذه الثورة. لم تعد لديه رغبة في زيارة الشيخ

.. ما سمعه من هنا وهناك جعله يسخط عليه. حينما دخل حجرة المدرسين في اليوم التالي رأى رجلاً معممًا يجلس. تلف رأسه (تلفيحة) كبيرة و على عينه منظار أسود .. وفى يده عصا عاجية الرأس. حياه وجلس يرشف كوب الشاي الساخن .. أخرج علبة سجائره وقدم للرجل سيجارة معتقدا أنه أحد أولياء الأمور. أقبل زميل مرحباً:

- صباح الخير يا شيخ على!

انتبه.. آه .. إذن. هذا هو الشيخ على!.. أخيراً أتى .. بعد شهرين من بدء الدراسة .. انتهت إجازته المرضية. اعتذر له عن عدم تعرفه عليه .. خرج إلي فصله إثر دق الجرس معلنا بدء الحصاة الجديدة .. رجع بعدها إلي حجرة المدرسين يسأل:

- أين الشيخ على ؟

- ذهب إلى القومسيون ليأخذ إجازة أخرى.

- إجازة أخرى ؟ !

ظلت قصة الشيخ على حديث الساعة في المدرسة .. تثور في كل اجتماع.. و تدور في كل بيت! الغريب .. أن الناظر كان يروي أقوالاً عن الشيخ على .. و الشيخ على يردد كلمات نطق بها الناظر!!

كيف وصلت هذه الأخبار إلي كل منهما؟

الناظر يقول في سخرية:

- العصفورة قالت لي !

و الشيخ على يقول وهو يبتسم:

- أرى ذلك في المنام !!

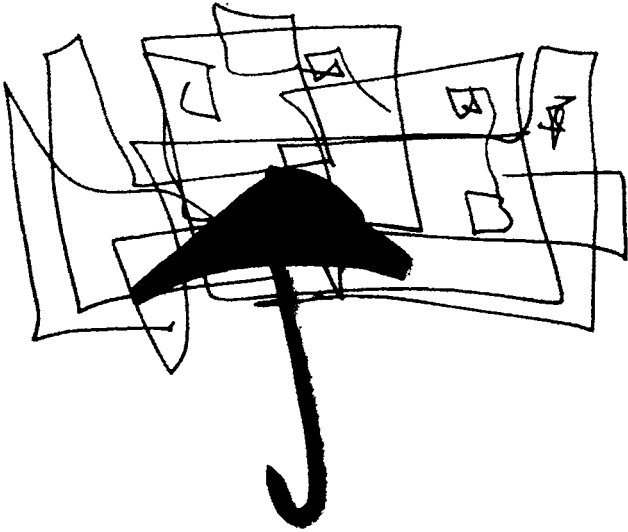
كان الشاب يجد متعة في هذا الموقف الطريف الذي يحدث في المدرسة .. مما خفف عليه إرهاق العمل المتواصل طوال النهار.

يخرج من فصل.. ليدخل آخر دون راحة بسبب عجز المدرسين .. و اضطراره أن يدرس حصصا إضافية.

أوشكت السنة على الانتهاء .. لم يعد الشيخ على .. بدأ حماس المدرس الشاب يقل تجاه المشكلة التي بدأت تثير الملل .. لكن الموقف اشتعل من جديد .. أعلن الناظر في اجتماع هيئة التدريس نقل الشيخ على.

سكت الجميع .. كأنهم يدينون الشيخ على بصمتهم .. و ربما خوفا من الناظر.

في اليوم التالي أرسل الشيخ على برقية إلي الوزارة يقول:
تقلت تصفاً . أرجو التحقيق !!



جریح بیکادیلی

خسر كثيرا .. لم يبق معه سوى ثلاث بنسات .. ورغبته
الشديدة في اللعب كانت تشده إلى الآلة ذات العقرب الواحد
الذي يدور حول الأرقام ويقف عند رقم معين .

أحيانا كان يحالفه الحظ عندما يضع النقود في مسقط الرقم
الذي يقف عنده العقرب الطويل .. فيتساقط عدد من النقود
يساوي الرقم .. وكثيرا ما كان يخسر .

اختار الرقم ٧ .. كان صديقه .. لم يلعب عليه إلا وكسب ..
هزته الفرحة حينما أضاء الرقم وتساقطت أربع قطع من
الفتحة التي يجنى منها الربح .. ظن الحظ يحالفه .. جرب
رقم ١٢ .. لم يصدق أنه كسب إلا حينما سمع صيحة إعجاب
تأتي من خلفه ، وصوت خشن يعلن أنه محظوظ . حينما
دقت الساعة العاشرة .. كان قد خسر كل قطع النقود
الصغيرة .. لم يجد مفرا من الرجوع إلى تلك السيدة القابعة
خلف الشباك الحديدي . نظرات الإشفاق في عينيها تجعله
يشعر بضآلة .. لم يكن يخشى الخسارة .. بل العودة إلى هذه
السيدة الرقيقة .. جعله هذا الشعور يمسك قطع النقود الثلاثة
في يده .. ويحكم قبضته عليها وكأن فيها مفتاح الحياة .. رمى
بقطعة في موضع الرقم ٢٣ وخسر .. ورمى الثانية وخسر

..ولم يبقَ إلا الثالثة .. مد يده .. ارتعاشه أمل وخوف
تحركها ..وبما يكسب البنس الأخير، ويجلب حينئذ ثلاثة
وعشرون قطعة!.. قلبه يخفق مع دوران العقرب حول
الأرقام .خيل إليه أن الوقت يمر ببطء شديد.. كأن العقرب
يتعمد أن يحرق أعصابه ويتكاسل في التوقف. ود لو وجه
إليه لكمة..لكن الملعون توقف أخيراً..وخسر!

- كفاك ..خسرت كثيراً !

تأمل وجه محدثته..همهم :

- خسرت ما هو أعلى من المال .

- ماذا؟

- عفوا..أستمتع باللعب رغم الخسارة.

- لم تكسب أبدا؟

- نادراً.

- تدرب.

- فطت.

- والنتيجة؟

- هزيمة!

- أمام الآلة؟

- أمام الآلهة!

- سياسي؟

- وطني.

- عربي؟

- عربي!!

- حزين؟

- حزين!

وضعت كفها الغضة على وجنته..جذبه من ذراعه..مضت به خارج صالة اللعب..لفحه الهواء البارد في الطريق.. سرت في جسده رعدة خفيفة..دعته إلى منزلها..وعدها بلقاء آخر.. قبل وجنتها..مضى .. إبتلعه زحام ميدان "بيكاديلي"..تجمعت على نظارته قطرات دقيقة من الرذاذ..هطل المطر بشدة..فتح المارة (المطريات)..يركضون..رفع غطاء رأسه المشبوك في ياقة معطفه..كان الوحيد الذي لا يسرع..الجميع يذهبون إلى ديارهم..وهو..لا يريد. لم يشعر بالبرودة كما شعر بها في هذه الليلة. جرت قدماه إلى حي "سوهو" الصاخب..كل شيء يبرق ويخطف البصر ..أضواء..فتيات..افيشات..موسيقى.. وهو شارد مع أفكاره.. يتألم.. أفاق على غمغمة أحدهم وهو يتقى الاصطدام به. قرر الرجوع إلى

مأواه البعيد في تلك الحجرة القابعة بين أحضان إحدى
البنائيات في حي "ايرلس كورت" الشهير بـ"لندن". اكتشف
أن الساعة تجاوزت منتصف الليل .. لا مفر من العودة
مشياً.. لا بأس .. فهو في أشد الحاجة إلى السير، والتفكير.
شهور في بلاد الإنجليز .. لم تبدد غربته التي حملها معه
من وطنه أيضاً.. ما زال جرح الحدث العظيم ينزف في
أعماقه حتى هذه الليلة.



آفر نفس

في الطريق..كل شئ ثابت..الناس يمارسون الحركة
الأبدية..نسمات الصيف تمس وجهه المبلل بالعرق.. تتسرب
عبر مسامه إلي أغواره السحيقة.

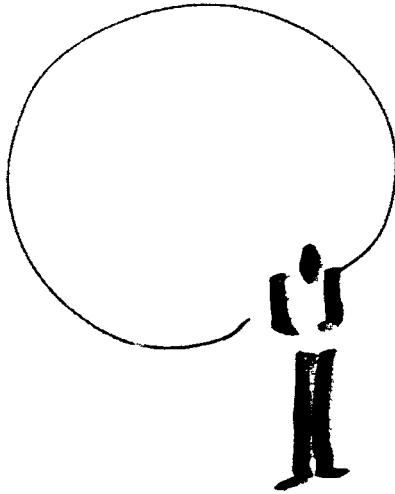
رائحة الماضي تغزو أنفه.. ثمة ذكريات نائمة تصحو..
وأيام الطفولة المقتولة تعود. دمعت عيناه..ونظراته تلاحق
صبياً يسابق الريح بدراجته الصغيرة حتى يختفي..ذهب..
كما ذهبت أيامه البيضاء..كأنها حلم..كم تمنى أن ينام
ليستعيده من جديد..يعب من المناهل العذبة ولا
يرتوي..ينكمش داخل جلده ليصبح مثل هذا الصبي
الصغير..ويسرع خلفه بدراجة لا تصل إليها قدماه إلا
بمشقة.

شئ يشبه الكشف جعله يحس بالماضي يبعث من بين
الثري..حينما أحس بيد تربت علي كتفيه..(ها أنت يا رفيق
الطفولة..لم تتغير..فقط تمددت عظامك وصار نصيبك من
الفراغ أكبر من ذي قبل..مثلي تماماً..ولكن ماذا عن
أعماقك يا صديقي؟ وأين رست سفينتك؟). أفاق من
شروده..وهو يسمع نفس الصوت القديم:

-ألا تعرفني؟

وأجابه بعناق طويل.

-عندي تصريح ب٤٨ ساعة فقط..سنلتقي..حسب الظروف. وانطلق "الأتوبيس" يحمل قطعة من كيانه.
نظر ملياً في وجه الرجل القابع داخل "كشك" السجائر..تفرس في ملامحه وهو يشتري منه (حتى أنت لم تتغير..) علبة السجائر تحولت في عينيه إلي علبة حلوي.
حينما أشعل آخر سيجارة..أدرك أنه وصل إلي الخلاء..الطريق صار قفراً..طاب له أن يركض..أسرع الخطى..بدأ يقفز..أطلق لساقيه العنان..وصوت أبيه يأتيه من أعماق الزمن..يناديه..وأقدامه صارت ثقيلة فوق العجلة الصغيرة..ورئيسه في العمل يستجوبه لأنه غاب يوماً..وصدي كلمات زوجته يرن في أذنيه..تلاحقه بالحناق.. صار في لحظة قذيفة في الفضاء..هوت سريعاً ترتطم بصلاية الأرض فتنبجس منها الدماء..وصوت نواح يأتيه من جب عميق.



الخروج من دوائر الوهم

(انطلقت أصوات الذئاب تعوي .. والبوم ينبغ في القفار ..
وحشرة ذات الهول السوداء تلتف بأذرعها المائة حول
عنقه .. تضغط عليه تخنقه .. تكتم أنفاسه .. فيحس بجفاف
الريق .. يطوح بيديه في هواء الفضاء اللانهائي كالغريق ..
الوخزات .. نفس الوخزات .. أنياب وحشيه تنغرس في
جسده .. تصل حتى النخاع .. فيشعر بالغوص إلى أسفل
.. إلى القاع) .

- مريض غرفة ٣٠ يصرخ يا دكتور .
- أعطه الحقنة .

كل شيء عاد إلى السكون .. وورداء الصمت يلف الكون
ويشعر وكأنه قد عاد ثانية إلى أحضان الرحم .. وأصوات
ملائكية تغنى بلا توقف .. وقناديل مضيئة تتساقط من السماء
كحبات مطرية رتبية .

("لندن" .. كل شيء رمادي اللون .. حديقة "الهايدبارك"
تحتضن مئات من البشر .. أصوات الخطباء تعلو هنا
وهناك .. وجه زنجي يصرخ .. يطالب بالمساواة .. وعلى بعد
خطوات شاب أحمر اللون .. يهذى بكلمات صديدية ، وألفاظ
متقيحة . ومن بعيد يلمح فتاة شقراء حاسرة الثوب .. تلوح
ببيديها .. كأنما أصابتها لوثة الجنون . وهو يسير باتناد ..

يتجه نحو البحيرة.. يلقاها هناك.. تنتظره حسب الميعاد..
لقيمات صغيرة في كفاها الرقيق تلقىها في الماء.. فيسرع
إليها الببط الوديع ويلتقطها في مرح صاخب. تسمع وقع
خطواته التي ترن فوق الأرض المبتلة.. فتدور برأسها
الجميل.. تستقبله بوجه صاف كصفحة السماء في
الربيع.. وعيونها الخضراء.. كنباتات القرية البعيدة تقول
الكثير، وتنهض في خفة عصفور، ويستقر كفاها الصغير في
كفه.. وتتعانق الأصابع.. يتبادلان نظرة.. ويطلقان
ساقيهما للريح.. يركضان في طرقات الحديقة المترامية..
كطفلين صغيرين في عالم اللاحزن. لكن أنفاس المرح
معدودة.. وأجله قصير.. والحلم وهم كبير.. سراب تكشف
زيفه الحقيقة.. ضباب تبده أشعة الواقع القوية. وهو نفسه
كان يدرك المصير.. ويدري أن أيامه حبلى بغده.. والغد..
يلقى به في جوف الصحراء).

- سترحل؟

- انتهت البعثة.. ولابد من العودة.

- وسترجع يوماً.

- ربما.

عيناها تستحلفه أن يبقى.. قلبه تختلط فيه الدقات. يهتز ماء
البحيرة بحركات دوامية.. خفيفة.. يظهر على صفحته وجه

مضيء كالنور .. تعود الذكرى تسحبه للماضي
.. صوت عمه يهدر كموج البحر التائر .. (ابنتي ليست لك
.. سمعت .. ليست لك .)

يحبس بكيانه يحترق . لساعات النار تكوى كل ذرة في جسده ..
وتتضح مسامه بفيضان من العرق المتأجج ويصرخ
كالصرايح . وتتفتح عيناه على وجه الممرضة .. تجفف بيديها
العرق من جبهته الملتهبة .. يحاول النهوض .. تمنعه بلطف
.. تريح رأسه على الوسادة . وتتسحب خارج الحجرة في
هدوء .

- طمنينا يا بنتي .

- ربنا يستر .

- ممكن نزوره ؟ أنا عمه !

- ليس الآن .

وتلمع عين الرجل بالدموع .. بينما انفلتت الممرضة مسرعة
إلى حجرة الطبيب :

- حرارته مرتفعة يا دكتور .. وعاد يهدى .

- أعطه حقنة أخرى .

الممرضة تكشف عن ساعده الأيمن تغرس الإبرة في
ذراعه .

(نافذة الحجره المغلقة تتسع وتتسع حتى تتلاشى..
تهب ربح هوجاء تحمله.. تعلق به.. تقذفه في الفضاء
.. تظل ذرات الهواء تعبت به.. تتلقفه ككرة تتبادلها
السيقان .. وأخيرا يهبط على الأرض كريشة تحركها
النسمات .. ساقاه تقصران .. يتساقط شعر شاربه
الغزير.. ينكمش الجسد المسجى على الفراش .. يتحول
إلى جسم طفل صغير يسابق حبيبة حلوة ذات صفائر
طويلة تتأرجح خلف ظهرها يمينا.. ويسارا.. يملآن
صحن الدار بالضجيج.. والصياح.. ترن ضحكات
الطفولة البريئة في آذان الأهل .. فيسعدون بهاتين
الزهرتين الناضرتين .. ويحلمون بالمستقبل. يتناول
جسده من جديد.. ينبت شاربه.. يشدد عوده .. فيغدو
شابا يافعا قويا .. وتتحول الصبية ذات الضفيرتين إلى
عادة حسناء وبذرة الحب تنمو في القلبين .. وملائكة
الطهر والنقاء تبارك عاطفة الصادقين . وصوت كتغريد
البلابل يعزف فى أذنه.. ويسرى فى عروقه. "فى أمان
الله .. فى الذهاب والإياب .. يا أعز الأحباب").

عندما أشرق الصباح.. كان يشعر بصداع رهيب يكاد يفتت خلايا عقله.. أقبل الطبيب وهو يبتسم في بشاشة ، من خلفه.. الممرضة التي قامت برعايته طوال نوبة الحمى.

- كيف حال فارسنا الهمام ؟

- الحمد لله . اشعر اليوم بتحسن .

- قريبا سندعك تذهب إلى غير رجعة!

أعقب كلماته، بضحكة خشنة لا تخلو من العذوبة، والمرح. ترك الحجرة بعد أن أعطى الممرضة بعض الإرشادات . أصبح وحده في الحجرة الواسعة .. اسند رأسه على حافة السرير الأبيض.. يتطلع إلى السقف.. الأفكار تتراقص في رأسه كالفراشات التي تحوم حول الأزهار .. يحاول استرجاع ما حدث في الثماني والأربعين ساعة الماضية .. آه.. ها هو يتذكر.. لقد ذهب إلى عمه بعد صلاة العشاء .. انتظر حتى انصرف الضيوف من المجلس .. صارحه أنه ما زال يتمنى الزواج من ابنته..

كان يظن أن عمه سيقبل هذه المرة .. خصوصاً بعد عودته موفقاً من بعثته في "إنجلترا".. لكن الرجل ازداد قسوة .. وما زال يقف حائلاً دون سعادتهما.. وأحلام العمر الوردية.

في هذه المرة لم يرفض دون ذكر الأسباب.. لكنه وضع في طريقة صخرة عاتية اسمها المهر.. وأنى له هذا المبلغ الضخم، وهو يخطو خطوته الأولى في الحياة العملية؟
عندما خرج من بيت عمه .. كان الليل قد أسدل ستائره السوداء على الأرض .. لكن أعماقه كانت أشد عتمة وقتامة .. ظل يدور بسيارته في الطرقات التي أغرقها مطر الشتاء .. كانت الرياح تصفر بصوت كالنواح.. كأنها تعزف لحن الأحزان .. عاد إلى الدار ومطارق تدق رأسه بقوة. ألقي جسده المنهك على الفراش. و.. لا يدري ماذا حدث غير ذلك .. ولا كيف انتقل إلى المستشفى .. من الذي حمله إلى هنا؟ .. لا يدري.

صوت أقدام تقترب.. الممرضة أقبلت.. حان موعد الدواء .

- ألم يأت أحد لزيارتي؟

- موعد الزيارة في المساء.. وسترى كل أحبائك. الآن

هات يدك لتأخذ الحقنة. بالشفاء إن شاء الله.

هزه الشوق إلي فتاته .. ترى هل يراها ثانية ؟ أم كتب عليهما الفراق إلي الأبد لم يكن يدري أنه يحبها كل هذا الحب .. سنوات الغربة جعلته يدرك أن حبه لها أقوى من الزمن والمسافات.. وقد صور له الوهم في تلك الأيام البعيدة أن بإمكانه الزواج من زميلته الإنجليزية الفاتنة.. لكن قلبه

كان مشدوداً إلي حبيبة من بلده .. يراها دائماً بعين الخيال ..
تحيا معه تحت سقف واحد .. في دار صغيرة تعبق أركانها
أنفاس المحبة .. وترن في صحنها ضحكات الأطفال الحلوة
.. أتى موعد الزيارة .. كانت أمه تنتظر قبل الموعد بساعات
.. ألقى برأسه في حضنها الحنون .. لم يلبث .. أن أفاق من
غفوته الطفولية على صوت نحيب مكتوم .. فرفع رأسه ..
غير مصدق .. إنها هي .. ابنة عمه الحبيبة .. في عينيها
نفس النظرة الأسرة التي سلبت عقله ومشاعره منذ زمن
بعيد .. التقى الكفان يتصافحان .. بل يتعانقان .. يلتصقان
لحظات .. وينتبه الحبيبان الصغيران إلى وجود الأم الرعوم
فيسحب كل منهما كفه في حياء .. وينظر إلى أمه .. فيجد على
وجهها ابتسامة بيضاء تشع بالطيبة والعطف .. تمسك الأم بيد
ابنة عمه .. وبيدها الأخرى تمسك يده .. تبارك حبهما
العفيف .. تتمنى لهما السعادة والهناء ..

تذكر عمه .. سامحه الله .. لقد تحول إلي عبد للمال .. كلما
شيء لديه له ثمن .. حتى ابنته .. لا يرى فيها سوى سلعة
كغيرها من السلع التي يتاجر فيها ويربح آلاف الريالات .. من
خارج الحجرة .. سمع صوتاً يسأل عن رقم حجرته .. لم
يصدق أذنيه .. صوت عمه ! .. ها هو أمامه .. حقيقة وليس
وهماً .. إنه يبتسم !! لعلها المرة الأولى التي يراه فيها

مبتسماً..أقبل عمه عليه .. جلس على جانب السرير..
يداعبه بكلمات رقيقة.. كأنه إنسان آخر غير الذي تنظم
سعادته وسلبه الأمل في الحياة. صوت عمه يتهدج.. يبدد
شروده .. يعيده إلى الواقع.

- سامحني يا بنى ..لقد أخطأت في حقك ..بل في حق
نفسي.. كنت أظن المال كل شئ في هذه الحياة .. حتى
يوم أمس .. عندما خسرت مبلغاً باهظاً هو معظم ما
أملك من رأس مال .. أدركت حينئذ أن المال يذهب
ويأتي .. أما الإنسان .. فهو أكرم مخلوقات الله
..وليس سلعة تباع وتشتري.

توقفت كلمات الشيخ .. سألت دمعة كبيرة على وجنته.. لكنه
تمالك نفسه .. هب واقفا .. اقترب من الشاب العاشق
..أمسك بيده.. ضغط عليها ضغطة أودعها كل مشاعره
الأبوية الصادقة.. قال ونظراته تنتقل بين الحبيبين
الصغيرين:

نحن في انتظار خروجك بسلامة الله ..لتحدد معنا أسماء
المدعوين إلى حفل العرس!



الكارثة

مر الليل طويلاً، ثقيلًا. ضوء النهار يظهر .. يلف الكون
بردائه الأبيض. "الراديو" يصفر. نور الشمس يغمر المكان.
يحس أن ضوء عينيه يخبو.. الدنيا قاتمة .. شئ يكاد يفجر
صدره .. ينهض متثاقلاً.. يجر رجليه.. تتاول الجريدة من
تحت الباب .. عيناه علي العنوان الأحمر.. قلبه يدق بعنف..
تهاوى علي أقرب مقعد.. صدقت إذاعة "لندن" .. وقف
إطلاق النار. (هي النهاية إذن .. الدموع تتجمد في عيني
.. الدماء تهرب .. أبصرُ وجهي في المرآة مصفراً كميت
.. كأن عقلي توقف .. قدرتي علي التفكير تلاشت .. ما
زلتُ أذكر .. اندلعت الحرب بين العرب وإسرائيل .. كنت
أعلمُ أنها آتية لا ريب فيها .. قالوا: تدمير إسرائيل،
وتحقيق النصر .. النصر!!). دموعه تسيل .. (هزيمة ..
هزيمة!) سار كالنائم .. ذاهلاً كالتائه .. ارتدى ملابسه في
فتور .. مضى نحو الباب .. مائت خطواته حينما سمع
صوتها الحنون .. أمه تدعوه للإفطار .. رأسه يختلج يمينا
ويسارا. مضى نحو الطريق .. ضاع في الزحام.. (يسبيرون

في وجوم .. رؤوسهم تتدلى علي صدورهم كأنما أثقلتها
الأفكار، والهواجس، والهموم). الناس.. الأصوات ..
العربات .. صخب الباعة ... سيمفونية كئيبة. أين يذهب؟..
لا يدري .. فقط يريد أن يسير . ينظر إلى الناس .. يحتمي
بهم .. يذود عنهم. وقف في محطة الحافلات .. التفت نحو
اليمين .. بائع الجرائد يفترش الأرض .. الصحف فوق
الرصيف. أشاح بوجهه. لكنه قرأ الخبر المشئوم علي
الوجوه.. العيون شاخصة في الفراغ .. شاردة في صحاري
المجهول. أقبلت السيارة .. هرول الجميع .. يتدافعون بغير
وعي . انحشر وسط الأجساد .. مضت السيارة المتخمة
تشق طريقها في فتور.. شمس يونيو الحارقة تلفح الركاب
.. تزيد من ضجرهم المكتوم. الجميع صامتون. سكون
غير معهود. اختفت المشادات الحامية التي يسببها الزحام،
وارتطم الأجسام.

همهمات وأحاديث خافتة. في مقاعد الدرجة الأولى رجل
بدين يرتدي ثيابًا فاخرة مستوردة يضع ساقه الثقيلة فوق

الأخرى، ويحملق في الجريدة، ويهمس لجاره وسيجار يتدلى
من جانب فكه:

- هو إحنا قد أمريكا؟

التقطت أذناه الكلمات .. هز رأسه في أسى.. لم يلبث أن
انتبه لما يدور في آخر السيارة .. رجل ملابسه ذات بقع
جيرية يؤكد لزميله في يقين:

- دي خطة.. وقف النار ده خطة.

- أيوه .. روسيا معانا.

- والحل؟؟

صاح شاب مخاطبا صديقه الشارد.

- لا أدري.

زفيرا ملتهب .. تتناثر الكلمات .. تربط الجميع بشعاع غير
مرئي.. يغزو أعماقهم..يصهر كيانهم فيصبحون حقا الكل
في واحد. توقفت السيارة.. لا يدري أين هو.. نهاية الخط..
بقي في مكانه.. عادت السيارة تبتلع العشرات..تمتلئ بالناس،
والأنفاس المختلطة بالكلمات. نفس الكلمات، ومرارة
الخلوق.

عاد إلي البيت..ألقي بجسده فوق الفراش..ظل ساهرا حتى
أتاه صوت أمه الطيبة:

- النهار طلع.
- لا يا أمي. لم يطلع النهار بعد.



سر البلاء

ماذا يحدث؟. ولم تمسك بي صاحبتى بهذه الطريقة؟..حقاً
إنها اعتادت أن تمر علي جسدي بلمساتها الحانية، وتتخلل
أصابعها شعري الناعم وكأنها تدلل طفلاً صغيراً..لكن
سلوكها اليوم يبدو مختلفاً..هناك سر وراءه..ها قد صدق
حدسي..عينها تشعان ببريق خاص.. نظراتها تفيض بمزيج
من مشاعر الحب والإشفاق.

تحسست بأناملها كتفي الأيمن..وانزلقت إلي ما تحت الإبط
لتستقر فوق ذلك الورم الغريب الذي ظهر في هذا المكان
من جسمي منذ أيام..رفعتها بسرعة. راحت تحيطني بكفيها
وتحملني بهدوء..تدفع بي داخل حقيبة جلدية..تغلقها
بإحكام..لا يبقي بها منفذ سوي فتحة صغيرة تسمح بالتنفس
لا تكفي لكي أخرج هارباً من هذا السجن. ها هي تسلمني
لإبنها، فيخرج بي إلي الطريق الذي أراه لأول مرة منذ
تفتحت عيناى. دقائق قلبي تزداد..أنفاسي تتلاحق..كياني
يرتجف فأموء بشدة. لا أفهم شيئاً مما يدور حولي..المشاهد
تمر أمام عيني متعاقبة..بعضها مألوف لي..رأيت مثله علي
واجهة ذلك الشئ الموجود فوق المنضدة الخشبية في حجرة
الاستقبال..والذي يضىء في بعض الأحيان وتظهر فيه صور
عديدة أعرف ما يعنيه بعضها..والبعض الآخر مجهول

لي.. لكنني أعرف بخبرتي بعض المعلومات والأشياء التي تتحرك أمامي كلما قامت صاحبتني بتشغيل ذلك الجهاز السحري.. كما أعرف أشياء مثيرة أتعلمها من الأحاديث الطويلة التي تدور كل يوم بين سيدتي، وأولادها، وبناتها، والضيوف الذين يزورونها.. إنني أجلس هادئاً في ركن غير بعيد أستمع.. أنقل نظراتي بينهم.. لا يخطر ببالهم أبداً إنني أفهم، وأكتسب منهم الكثير مثل الأسماء، والأشياء، ودلالات الأفعال. بل أن قدراتي تفوق ذلك.. فبإمكاني التواصل مع من أحب بطريقة خفية لا يدركها إلا من أحبني مثل ابن سيدتي الذي أقبع أمامه كل ليلة وهو يجلس علي مكتبه.. أحرق في عينيه، وأنقل إليه أفكاره.. فلا يملك البعد عن القلم والكتابة. أشار صاحبي بيده إلي شئ يسير بأربع عجلات يحرص الناس ألا يصددهم.. وبيده الأخرى الحقيبة التي وضعوني فيها.. أتطلع ببصري من ثغرة ضيقة فأري بوضوح ما يجري بالخارج.

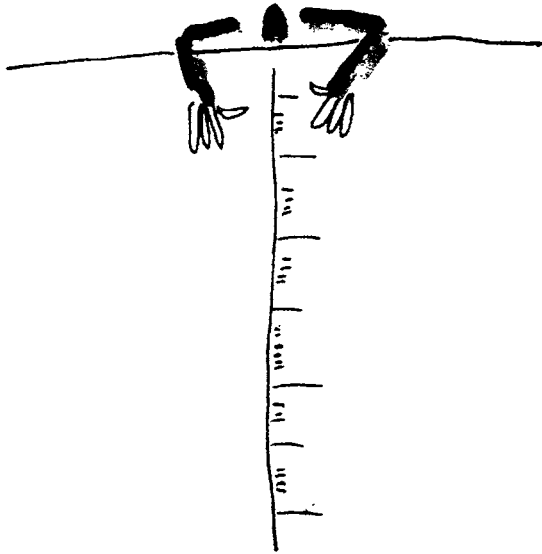
أنا وصاحبي الآن داخل هذا الشئ الذي عاد يتحرك من جديد بيد رجل كهل لم يكف لحظة عن الكلام. مددت عنقي إلي أعلي.. رفعت رأسي نحو فتحة الحقيبة محاولاً الخروج.. لكن يد صاحبي أعادتني كما كنت.. اكتفيت بالنظر

فيما يجري في الطريق..وخصوصاً ما يخطف بصري من
مشاهد تشير في نفسي بعض الحيرة..وأولها صورة رجل
مبتسم أسود الشعر يرفع يده..لا أدري لماذا شعرت بالملل
من تكرار هذه الصورة علي الجدران والأعمدة..تمنيت أن
أري صوراً مختلفة..مثل وجوه هؤلاء الرجال والبنات
المارة في الطرقات.

من مكمني..رأيت أيضاً أشياء تشبه المكان الذي أجد نفسي
فيه الآن..لكنها أكثر طولاً وألوانها متنوعة..وفيها رجال
ونساء يرتدون ملابس تشبه ما يرتديه الذين أراهم في
الصندوق السحري المضيء.. في الطرقات أري أمثالهم
يسيرون هنا وهناك..لكن بعضهم لا يرتدي مثل هذه
الملابس..بل ثياباً قديمة تشبه التي تعطيها سيدتي للبواب
العجوز.

بعد وقت أطول من الوقت الذي أقضيه في تناول طعامي
المفضل من يد سيدتي..توقف هذا الشيء العجيب الذي لا
أعرف له اسماً..وجدت نفسي في الطريق من جديد..الآن
أرى شيئاً يعوق الداخلين..الحارس يشير إلينا..يتبعه
صاحبي..يرقدونني..يأتي رجل يرتدي ثوباً أبيض.. يمر
بأصابعه علي الورم..يكتب شيئاً علي ورقة صغيرة

أمامه.. يعطيها لصاحبي.. غادرنا المكان.. اتجه صاحبي إلي
موقع جديد.. يدخل.. يقدم الورقة لرجل آخر فينظر حوله.. ثم
يمد يده ويتناول زجاجة.. فيها مادة بيضاء.. لم يصبر
صاحبي حتى نعود إلي المنزل.. فتح فمي.. وضع قطرات
استقرت في حلقي وهو يهمهم بلغة مختصرة تعودت علي
سماعها.. ينصحني ألا أقاوم بلع ما يضعونه في فمي حتى
يتم شفائي.. وتفرح بي سيدتي، وتعطيني كالعادة أحلى نظرة
رضاء..



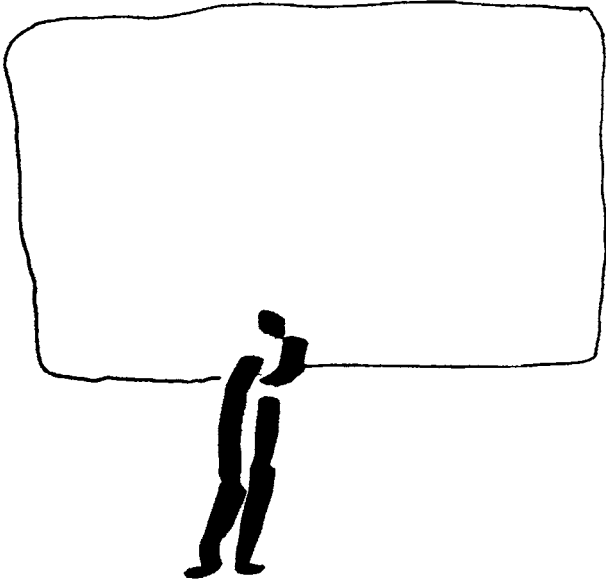
انتقال

نيران الغيظ تشتعل في أعماقك.. لكنك عامدا متعمداً لا تبحث
عن ماء الإطفاء.. تكتوي بمشاعر الغضب.. ولا تصيح
ساخطاً كالعادة.. تؤثر الانتظار.. في رأسك فكرة تدور وفي
قلبك قرار. هذا الكائن المنشطر من جسدك لم يعد يجدي
معه محاولات التطويع.. وأي مواجهة منك لن تعود عليك
بالنفع. معضلتك القديمة هي سر عذابك الآن.. وصاديق
عمرك كان يذكرك دوماً:

- لن يقيموا لك تمثالاً!

تحتج بأنك تؤدي الواجب الأزلي.. يسخر منك.. يدعوك
للنزول من البرج.. تفترقان دون إقناع. أنفاسك تكل من
جذب ذرات الهواء.. ينتابك بعض الدوار.. تعزف نفسك عن
طلب العون من ذلك اليافع المزهو بالوهم. أنت قادر علي
انتشال جسدك من تحت الجدار المتهم دون عون سواعد
الفتي المستنسخ من سويداء قلبك. تمضي وحدك نحو
الفرش.. تمسك جسدك في رفق لتميل حتى تلمس رأسك
الوسادة دون أن تدور الحجره بك.. وتتجح في إيقاف حركة
المحور المتصل بالجدران الأربعة.. ولكنك تعجز عن دفع
الملاعق والأكواب.. والأواني اللزجة من بقايا

الطعام..والأكياس الممتلئة بقشر البيض
والموز..والبصل..والأغلفة السلوفان..وأعقاب
السجائر..والجوارب العفنة..وشفرات الحلاقة..وأشياء
كثيرة تفرعك..ولا تفهم حقيقة ما يجري إلا بعد نوبة
الصحيان.



لا معقول

السابعة صباحاً .. كما اعتاد كل يوم .. ينتظر الأتوبيس ..
شئ غير مألوف شد انتباهه جعله يشعر بالحيرة .. المحطة
شبه خالية!!.. لا أحد ينتظر سوي رجل مسن يحمل عصاه،
وجريدته.. شابان يتهامسان .. فتاة شقراء ممشوقة القوام.
أقبل الأتوبيس .. دهشته تزداد يصعد دون أن تسحق قدمه
الأحذية الثقيلة!!.. تتراقص علامات التعجب أمام عينيه.
المقاعد خالية .. من حقه اختيار المكان الذي يعجبه بجوار
النافذة ليستنشق هواء الصباح المنعش!.. رأسه يدور ..
يضطرب .. ما يراه محير. يكاد ينكر علي نفسه هذا
الإحساس بالآدمية الذي لم يشعر به من قبل.

أمس .. في هذا الوقت كان مصلوباً داخل نفس السيارة يكاد
يخنتق من الزحام، وحرارة الأنفاس، وعرق الأجساد. رغم
أنه كان يوماً بارداً ممطراً من أيام الشتاء القاسية.

ابتسم وهو يتذكر حاله عندما قفز من الأوتوبيس الذي كان
ينوء بحمله. تملكه الغيظ عندما أبصر طرف "بنطلونه"
ملطخاً بالطين العالق بنعال الأحذية! هروا خجلاً حتى
وصل مقر عمله قاصدا الحمام .

(خمس محطات .. الأتوبيس مازال خاليا .. ماذا حدث بين
الأمس واليوم؟ لابد أنهم استوردوا ألف أوتوبيس جديد ..

هكذا في لحظة تحدث معجزة .. مستحيل ! ربما نمت مثل
أهل الكهف .. وأنا الآن في زمان آخر ..) لسعه الهواء
البارد المندفِع من النافذة .. أغلقها. (نفس النافذة .. نفس
الأوتوبيس .. هو بعينه أوتوبيس الأمس، والمحصل .. ذلك
الرجل البدين بنظارته السمكة، وإطارها الأصفر القديم.
هو .. !!)

صداع ينتابه .. ما حل هذا اللغز؟

كيف حدث هذا التغير!؟

خطرت له فكره .. لماذا لا يسأل جاره في المقعد المجاور
ابتلع ريقه أكثر من مرة قبل أن ينطق .. لكنه أحس بحلقه
يجف والكلمات تموت. خشي أن يصبح موضع سخريّة .
آثر الصمت.

.....
.....
.....

اقترب الأوتوبيس من ميدان التحرير. الآن امتلأت المقاعد.
والواقفون أيديهم معلقة تمسك بالقوائم المعدنية دون أن تلتحم
أجسادهم كعادة كل يوم .

نزل من الأوتوبيس .. أسرع الخطي (حتى الزحام اختفي
أمام المجمع) مازال يشعر بالذهول والعجز عن تفسير هذا
الغموض الذي صادفه منذ الصباح !..



ولد اسمہ مکرم

- يا أستاذ.. يا أستاذ!
- توقف عند منتصف الجسر.. التفت ..
- مكرم!
- أنت نسيت يا أستاذ؟
- نسيت إليه؟
- وعدك!
- أي وعد؟!
- تاخذني معك أتعلم في مصر.
- أطلق الأستاذ صوتاً يدل علي التذكر.. وضع الحقيبة علي الأرض.. أسند ظهره علي سور الجسر الباهت.. حدق في الصبي.
- كانت عيناه تنتظران جوابه كقط شقي سجين ينتظر فرصة انفتاح الباب لينطلق هاربا!
- عاوز تسافر معايا؟
- أيوه يا أستاذ!
- افكرتك بتهزر!
- لا كنت بكلمك بجد.
- ووالدك؟
- موافق.
- مش معقول.
- تعالي كلمه بنفسك.
- (يبدو أنه قد رتب كل شيء، وأعد نفسه فعلاً للرحيل معي!).

امتدت نظراته إلي منتهى الطريق الرئيسية.. عرجت علي المنعطف الذي يقع بعده مسكنه الذي أستأجره منذ قدومه للعمل مدرسا بهذه القرية .. تذكر كيف بدأت معرفته بمكرم.. وكيف أصبح يتردد عليه كل يوم بعد عودته من المدرسة ليشتري حاجته من السوق.. كان يرثي لفقره ويحترم كبريائه. بعد آذان العصر كان الأطفال ينطلقون في الطرقات والدروب.. يلعبون.. ويمرحون.. أما مكرم.. فلا يبرح مكانه في كوخ والده العتيق.. أو "الغرزة" كما يسميها الأهالي. كان يساعده في عمل الشاي والشيشة.. لكنه يختلس بين الحين والآخر بضعة نظرات نحو أقرانه الذين يملأون المكان بضجيج اللعب.. يتمني أن يكون بينهم.. يغبطهم أيضا على الذهاب إلى المدرسة. يفيق من أحلامه علي صوت ينادي:

- يا مكرم!

كان ينتهز فرصة ذهابه إلي البقال لشراء الشاي أو السكر.. فيبقي بضعة دقائق وسط الأولاد.. يختطف الكرة من أحدهم.. يركض بها.. يظل يحاورهم بعض الوقت ثم يفتن إلي أنه قد تأخر.. فيلقي بها إليهم.. يستمر في الركض متجها نحو الغرزة.

تذكر خدمة مكرم له طوال عامين.. وأمانته، وإخلاصه.. عزم علي أن يلبي رغبته في الذهاب معه.. فهو يحتاج إلي من يؤنس وحدة أمه في غيابه ويشتري احتياجاتها.. وفي نفس الوقت يتمكن من إعادته إلي التعليم.

- إيه رأيك يا أستاذ؟

-

- أستاذ!!

أنتبه علي صوت مكرم ورد علي الفور:

- موافق.. نرجع نكلم والدك.

أختطف مكرم حقيبته الساكنة بجواره علي الأرض.. ومشي
أمامه بل كان يقفز كقط سعيد!

هاهو مسكنه سابقاً.. كل شئ يسير سيره المعتاد.

وأبو مكرم يلمحه قادماً مع ابنه من بعيد.. يقف.. وعندما
أصبح أمامه يسأله مندهشاً:

- خير يا أستاذ نسيت حاجة؟

- لا.. فيه موضوع.

عاد ثانية إلي موقف السيارات ليستقلا السيارة إلي القاهرة.
ظهرت مشارف العاصمة.. كانت نظرات مكرم زائغة..
شعور ما يتمدد في كيانه كلما وقع بصره علي شئ.. الزحام
.. السيارات.. النساء.. البنات.. لوحات الإعلانات والأضواء
المتعددة الألوان. عالم جديد يراه لأول مرة.. يفوق كل ما
صوره له الخيال .. أخيراً .. وصلت السيارة إلي نهاية
المطاف .. نزلا إلي الطريق.. ركبا الأتوبيس. دس مكرم
جسده الصغير بين الركاب.. ظل يقاوم حتى وصل إلي مكان
قرب النافذة. كان يتطلع إلي الطريق.. فمه مفتوح.. عيناه
تنتقلان بين كل المرئيات.. لكنه يجزع فجأة.. حينما يتذكر
الأستاذ.. يبحث عنه بين الوجوه.. أخيراً يعثر عليه قرب
الباب.. يسرع نحوه.. كأنه يلوذ به من الضياع. ضغط جرس
الشقة.. فتح الباب علي الفور.. الأم الحنون تنتظره منذ
الصباح.. لكنه هذه المرة ليس بمفرده. قبل أن تتساءل حكي
لها كل شئ عن الضيف الصغير القادم من أعماق الريف.

أرشدت الأم مكرم إلي الحمام ليغتسل..ويبدل ملابسه..ثم
أعدت العشاء لثلاثة. لكن الولد رفض أن يتناول لقمة واحدة.
جلس منكمشاً فوق الكرسي الوثير..عيناه تتجولان في أركان
البيت، ونظراته تفيض بالغرابة. (أنا فين؟..أبويا وحده في
البلد..فين صحابي؟؟ والبت ليلى .. لازم أرجع..... ولا
أستنى شويه؟ مصر حلوة.. وأنا نسه ماشفتش منها
حاجة..البيت ده كويس والست أم الأستاذ طيبة.. بس أنا
زهقان وعائز أروح).

يلمح الأستاذ دموعا تلمع في عيني الولد..تبدو علي وجهه
أمارات الدهشة.

- مالك يا مكرم؟
- عاوز أرجع بلدى.
- ليه؟
- والنبي يا أستاذ.
- حصل حاجة؟
- لا.
- أنت إالى صممت تيجى؟
- سامحنى يا أستاذ.
- والتعليم؟
- حاتعلم هناك.
- طيب..خليك للصبح.

عندما أشرقت الشمس..وجد نفسه في محطة القطار يقف
أمام شبك الوجه القبلي.. يمد يده إلي الموظف الجالس خلف
النافذة ذات القضبان الحديدية:

- تذكرتين من فضلك!



آخر مترو

ها هي خفقات قلبك تتنامى فى أعماق مشاعرك الأزلية..
تستحيل أذرعاً قوية تدفعك إلى آخر عربات المترو.. كم
جعلتكما الصدفة تقفان وجهاً لوجه فى دهشة طفولية..
الليلة تركتك بعد رنة هاتفها المحمول.. عندى عمل مفاجئ..
ينتظروننى.. سأعود.

يتدلى من لسانك حبل ينلوى متجهاً إلى جسدك.. يكاد يلفه
عدة مرات.. بينما علامات الاستفهام تتراقص فى غياهب
عقلك.. لون داكن يصبغ قلبك.. فجأة.. تنتبه قبل أن تقفز
أول علامة استفهام لتصطدم بوجهها الغامض.. تبتلع ريقك
فينجذب الحبل إلى داخل حلقك كمقياس دائرى مصقول!
تومئ برأسك راضياً عن الفراق الجبرى.
تذهب بعيداً عنك.. تتأخر.. تتنابك الهواجس.. تنقر أرقام
محمولها.. لا ترد.. الجرس يرن.. لا جواب.

- أنت وحدك تمتلك مفتاح اللغز.

- أى لغز؟

- نفسك

- أعرفها

- لم انتظرت؟

- ما ظهر كوكبى الدرى

- لا تبحث عن سراب

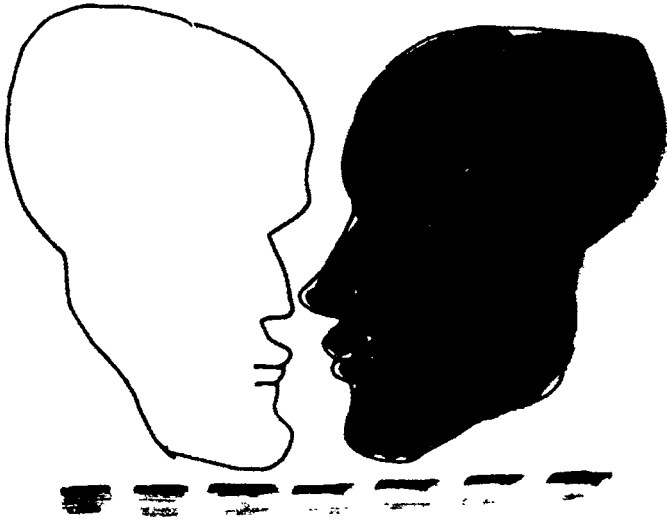
- أهو إعلان فراق؟

- لا.. ولكن

بترت جملتها بسكين النهوض.. وعدتك بالعودة.. ما عادت.

التليفزيون أمامك.. كثيرون حولك.. تحملك مشاعر الافتقاد
إلى بغداد.. الدماء.. الجثث المتعفنة تنزلق من الشاشة
الملونة.. يمتلئ المكان برائحة غريبة.. بعض الرفاق
يقفحون الشاشة.. يذهبون إلى ديار النجف.. الموت
للأمريكان.. جيفتهم النتنة تلوث ماء النهر..
تكشف أنك مستهدف.

المظاهرة الكبرى فى الميدان الواسع.. شموع كثيرة تضىء..
هتافات جماعية متفرقة.. عينك تبحثان عنها.. تحتفظ فى
يدك الأخرى بشمعة.. تقبض عليا .. كفها! .. العسكر
بعيدون.. قبل أيام كانوا يلهبون ظهورنا بالعصى
والبلطجية.. ها أنت تلمحها.. تشرق ابتسامتها من جديد..
تتوالى الدقات فى حنايا عقلك.. تناديهما.. لا تجيب.. لا
تسمع.. تتجه نحو الرصيف.. شاب طويل القامة يتقدم
نحوها.. يمد ذراعه تتكاثر فى لحظة.. عشرات الأصابع
مشرعة تدور حولها.. تحيط بها.. هى وسط الدائرة .. تلف
فى انتشاء.. ترمقك بظرفة عين.. تتجادل يدك الممدودة..
تحجم عن دفعك بعيداً عن شفا الحفرة.. تنزلق قدمك.. تشعر
أنك فى قاع تقطع ظلمته بوجهات لونية ساطعة. وصوت
يأتيك صدى ينادى (أى طبيب أو طبيبة على وجه السرعة).



صراع الثلج واللهب

كلما نظر إليه .. أشرقت في وجهه ابتسامة لا يلبث أن يطفئها شرود حزين. (مرت الأيام .. وصراخ الطفل في المهد تحول إلى كلمات لطيفة..عندما يناديني باسمي مجردا من أي لقب تسرى في قلبي رعشة غريبة..أخيرا أصبحت "بابا"..بعد أن كنت أردد هذه الكلمة..ها أنا أسمعها !!)

- أنت بتذاكر "جرنان" !؟

أفاق من شروده..رفعه بين يديه.. قبل وجنته دامع العينين.

- أنت بتذاكر "جرنان" يا بابا؟

أجابة متهدج الصوت :

- أيوه يا حبيبي.

- احك لي يا بابا.

- أحكي لك إيه؟.

- كلام "الجرنان".

(ماذا أقول لك يا صغيري.. لبتك تفهمني إذا رويت لك المأساة. الدماء في كل مكان..وحش قزم ذو عين واحدة تحيط بها بؤر صديدية متفححة..ولسان نار يتدلى من فمه المفتوح تنبعث منه رائحة كريهة..يقتنص بأصابعه

المسحوبة المسنونة طفلا اسمه "كنعان".. يسحب
شرايينه.. يمتص دماءه.. لا يرتوي.. أطفال كثيرون
يثورون لمقتل صاحبهم.. يتقدمون نحو القزم القمي
بغضب.. يقذفونه بالحجارة.. يبتعد قليلا.. بصوت كرية ينادى
بقية الأقرام.. يمتصون دماءهم.. وتستمر المعركة طوال
النهار.. وتتجدد مع بدء أشعة الشمس.. لا الأقرام الوحشية
تشبع من شرب الدم.. ولا الأطفال يتعبون من رجمهم
بالحجارة..)

- يجب الذهاب إلي الطبيب اليوم.

-

- سامعني!؟

(أمي كانت تقول: الضنا غالي.. وأبي كان يؤكد لي.. يا بني
محدث يحب حد يكون أحسن منه غير ابنه. مات أبي قبل
أن يري الحصاد.. تري هل أعيش حتى أراك يا بني أحسن
مني..؟ هل..؟)

- لم لا ترد.. اليوم موعد الطبيب!

- آه.. طيب.. طيب.. نروح.

(خمس سنوات سرقها الزمن من عمري.. الجذوة في
أعماقي لا تخمد هاتف غامض يدفعني لوداع تلاميذي

الأربعين المحشورين داخل حجرة صغيرة.. جذوة في أعماقي لا تخمد أبدا.. أحساسي بالغبية يتزايد مع الأيام..و...)

- ميه.. أشرب يا بابا.

نهض.. صب للصغير كوبا من الماء.. يجلس في مكانه.. أشعل سيجارة جديدة (الأرض تحت قدمي كأنها رمال متحركة تسحبني إلى جوفها.. روعي تبحث عن الطريق إلى البلاد المحجوبة..)

- أنا تعبانه جدا .

- هانت يا حبيبي.

(عادت تعاني الأم الحمل من جديد.. ليثني أتمكن من مشاركتها الآلام.. طفلنا الأول جاء قبل مواعده.. لكن الحمل هذه المرة طال..).

انتبه إلى صوت طفله الصغير وهو يشير بإصبعه إلي رأسه صائحا :

- يَمْ يَمْ!

حمله بين ذراعيه.. أجلسه بجواره عند ركن اللعب.. واعد إلي مقعده يتلاعب.

(كل شئ جمده ثلوج الزمن..لكن الجذوة في أعماقي لا
تخمد..روحي تنفخ فيها..تلهبها، فتذيب جزءاً من
الثلوج..لكنها تتراكم من جديد..وينتصر الجليد علي اللهب.
كرات الثلج تتساقط في أغواري..من نوافذ السيارات
المزدحمة بالركاب..من ثقب القلم الأحمر الذي أصحح به
كراسات تلاميذي..من عيون الصراف الذي يضع في يدي
كل شهر بضعة جنيهات تتبخر في أيام..زملاء
العمل..القاضي..المحامي..الموظف الجالس خلف مكتبه
كالطاووس..أقاربي وجيراني..الجميع يحملون في أيديهم
كرات من الثلج يلقونها في أعماقي..يطفئون بها أسنة
اللهب..لكن الجذوة باقية لا تخمد.)

أفاق من غفوته..ألقي علي المكان نظرة نصف
دائرية..أمسك علبة الدخان..لم يبق إلا
سيجارة..يشعلها..يضغط العلبة بين أصابعه..تتحول إلي كرة
من الورق..يلقيها في السلة بقوة فتحدث صوتاً يشد انتباه
الصغير الذي كان يرقبه فينقدم نحوه صائحاً:

- وأنا كمان سجاير!

يبتسم..ويرمقه بنظرة حانية يشع منها أكثر من سؤال.



التيه

تشبثت يدها بعجلة القيادة..التفت أصابعه حولها في
تشنج..ضاعف من سرعة السيارة حتى بدت وكأنها تطير
فوق الطريق..غطاء رأسه الأبيض يكاد يفلت من تحت
العقال..يتطاير بضربات الهواء الذي يشقه بسيارته كمارد
من الجان يركض في جنون. أنفاسه تتلاحق..دقات قلبه تعلو
علي محرك السيارة الهادر..دوي الكلمات في أذنيه يتحول
إلي أسياخ من الحديد المصهور تنغرس في خلايا المخ فتتهتز
في عينيه المرئيات..ويستحيل كل شئ إلي ضباب.
الإحساس بالقهر نصل حاد يمزق كيانه..يلقي بأشلائه في
الآبار الآسنة. يموت كل شئ فيه..وتبقي عظام أصابعه
تقبض علي عجلة القيادة..الشئ الوحيد الذي يملك السيطرة
عليه..نقطة تلمع وحيدة في بقعة الإدراك..تتجمع فيها
الأصوات والمرئيات..تفور كفقاعات الغليان.
الأم العجوز تقبع في الدار..تغلق الحجرات بالأصفاد..وكل
غبار الزمن يتجمع بين الجدران. و"المجلس" العتيق أصابه
الهرم..ورائحة الدهر تنفذ من "المساند"..تحمل معها أنفاس
الأب الثاوي تحت التراب منذ الأزل.

يا أمي.. كل شئ أصابه البلي.. لون الجدران الباهت يغزو
العيون بالكآبة... كل شئ يحتاج إلي تغيير.. و.. تموت
كلماتي.. تصرخين في وجهي: إنه بيتي.. أرحل إلي
الآفاق.. أجد نفسي بين جدران حجرة بعيدة.. أمتلك الحياة
فيها.. وحدي.. وتصرخ نداءات الكينونة من أعماقي:
إنها بيتي!.. تمر الأيام.. نظرات الدهشة في عيون زملاء
العمل تلسعني.. صفرة الأموات تملو وجهي.. العود
يضمر.. ماء الحياة يجف رويداً.. رويداً.. وأنا غارق في
أغوار الصمت.. تائه في غياهب اللاوعي.. الأشباح السوداء
تسير في الطرقات.. تجذبني بخيوطها السحرية.. أهوي إلي
القاع.. الأيدي البيضاء تمتد نحو من الآفاق
البعيدة.. أتضاعل.. يتحول كياني إلي ذرة ضائعة في رحم
الزمن.. ويا أمي أين أهرب.. ويدي تدير عجلة القيادة إلي
الدار العتيقة.. دارك....).

كم مضي من الزمن.. ساعة.. يوم.. دهر.. لا يدري.. فقط يجد
السيارة تنطلق.. (ألف عين في حنايا العقل.. تنتفخ بجماجم
الأسلاف.. وعنقرة يمك بالسيف يبتغي الخلاص.. والرياح
الآتية من ناحية الغرب.. تنحت صخور الصحراء الممتدة بلا
نهاية..).

طريق "الظهران" الواحدى الاتجاه تنهبه السيارات..تمرق بجوار أذنه اليسرى كالمساهم..الهواء الرطب يمتص كل أصوات الوجود..يصب في أذنيه ألحان النشاز..العرق اللزج يجعله يتوق إلى خلع جلده..والقائه تحت آلاف العجلات الدائرة فوق الطريق.

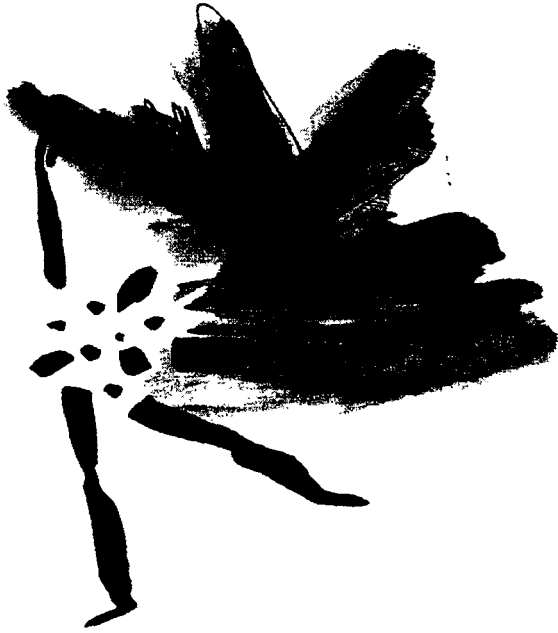
من بعيد..تلوح مشارف المدينة..والمنازل المتجاورة تقترب..الدار علي بعد خطوات. تبطئ السيارة..تسرع دقائق قلبه..يود لو عاد أدراجه، وألقي بنفسه بين جدران حجرته الجديدة. كيانه يكاد يتحول إلي شطرين..ولا مهرب من العودة..والمحاولة من جديد...قد يلين الصخر..ويعود التئام الكيان.

تدور عجلات السيارة نحو اليمين..تقف لحظة..ثم تعود فتتجه نحو اليسار..تقف لحظة أخري..تمضي نحو اليمين..تقف..تنطلق إلي الأمام من جديد..تدور حول الميدان الواسع..تندفع كالمهم..تخترق الطرقات..عيون المارة تصوب نظرات الدهشة نحو السيارة الزرقاء التي تدور كالنحلة الحائرة.

وجهه غارق في العرق والذهول. كل شئ غريب...كأنه يري كل شئ لأول مرة..!

باب الدار الأسود اختفي..والمنازل المجاورة..
والناس..والمتاجر..والشجرة العتيقة.. كل شيء ابتلغته
الأرض.

يعيد المحاولة.. يجد في البحث عن الدار..يتذكر أنها في
الشرق..ينطلق..يبصر الشجرة العتيقة أمامه..شعاع الأمل
يقوي في أعماقه..يخال نفسه أمام الدار ..يمني نفسه براحة
الوصول..يحدق بعينه في زوايا المكان. لكنه لا يتعرف
علي شيء. يصغي إلي هاجس يناديه..لعلها في
الغرب..أجل..ربما. وفي الغرب لا يتعرف علي شيء..كأنه
أتي بعد ألف عام..والدار ليست هي الدار..والطريق غير
الطريق..وكأنه لم يكن هناك دار في يوم من الأيام!.



الخروج من الشرنقة

ها أنت تكبل الدموع في عينيك كيلا تتحدر علي وجنتيك أمام الأنظار.. تتخفي خلف أفنعة المرح المصطنع، وتكتشف أنك ممثل كبير. تخرج في الصباح مرتدياً حلتك الشتوية، وربطة العنق المحيطة برقبتك فوق الياقة البيضاء المقواة، وحذاؤك الأسود اللامع والحقيبة الدبلوماسية الشكل في يدك. من يراك يظن أنك من السادة الأثرياء.. وبعض المتقنين يضعونك في طبقة البرجوازيين المترفين!. مخدوعون.. لا يعرفون أنك أفقر منهم.. وأنت تغسل ثيابك وتكويها بيدك.. تمشح حذاءك بنفسك، ولا تذهب إلي المسرح إلا مدعواً!. هذه "الفيلا" القديمة القابعة في أحد شوارع حي العجوزة الجانبية التي تركها أبوك ميراثاً لعشرة من الأبناء، وخمسة من السكان، تجعل الآخرين يحسبون أنك من القطط السمان الذين تحدثت عنهم الصحف في بداية الانفتاح. ولعل بعض الجيران يتهمونك بالبخل لأنك لا تشتري سيارة رغم ثرائك!. وها هو أحد سكان "الفيلا" العامرة يطالبك بإجراء بعض أعمال الصيانة فيها، وعندما تمهله بعض الوقت لتدبير المال اللازم، يسألك مبتسماً ابتساماً باردة:

- لماذا لا تسحب ما تحتاج من البنك؟

آه..البنك!!..لن يصدق مهما قلت..وحتى لو أقسمت..أنك لا تملك أي رصيد في البنك، والسبب ببساطة أنه شخصياً لديه رصيد محترم في البنك، غير ريع حديقة الموالح التي يملكها في بلدته، ويحصل منها في كل موسم علي إيراد ومكسب. لا يدرك حقيقة ظروفك سوي قلة من أصدقائك المقربين، وفي مقدمتهم رفيق رحلة عمرك الذي يؤكد لك دائماً أن فكرة الناس عنك هي الستر بعينه!

لكنك في النهاية مظهر يخدع السذج! أنت فقير، وغيرك يلعب بالمال! تدور في دوامة الروتين اليومية الرهيبة منذ الصباح حتى تضع رأسك علي الوسادة، وإحساس غامض بالخوف الخفي من النوم الذي لا تعقبه يقظة!. وتظل تتسمع دقات قلبك التي تخترق أذنيك بوضوح، وتكاد تشعر بالاختناق وتجمد الأنفاس، فتزيح الغطاء من فوق رأسك، وتجذب شهيقاً عميقاً إلي صدرك، وتلتمس مع لمسات هواء الحجر البارد شيئاً من الراحة، وتستسلم بعد دقائق لخدر النوم..تغيب عن عالم الشعور. تتفتح عيناك علي ضوء النهار من جديد..تكتشف أنك مازلت حياً..تواصل الطقوس المعتادة. تدخل الحمام..تغتسل..تخلق ذقنك..تتناول إفطارك..ترتدي ملابسك..تهرع إلي الطريق..تلقني بنفسك

في زحام الحافلة الحكومية. تقضي فترة من العذاب داخل هذه العلبة البشرية.. تخلص جسدك بصعوبة لتهبط في ميدان التحرير. تتجه إلي المجمع لنقف في طابور المصعد.. تلقى بنفسك فوق مقعد مكتبك.. تفعل نفس الشيء الذي ظلت تقوم به منذ خمسة عشر عاماً! يا للزمن الهارب! كل هذه السنين مرت، وأنت تعاني نفس المعاناة كل يوم، وتتجرع ذات المرارة!!.. تنتظر كل يوم أن تجد مفتاح الفرج الذي يسمونه الصبر، فلا تعثر علي شيء سوي المنغصات والآلام.

أسرتك زادت.. والمرتب زاد.. لكن الأسعار زادت أيضاً.. والهموم.. والأحزان.. والدموع. كل شيء زاد .. ماعدا الصدق، والإخلاص، والانتماء، والإنتاج!.

ها هو قطار الحياة يصل بك إلي بقعة جديدة أرضها تثمر الشوك، وسماؤها تمطر الأحجار في زمن لا يعترف للضعفاء بالبقاء. ليس أمامك إلا استعادة روحك النائرة، والإقدام علي صنع حياتك من جديد في عصر العولمة في غياب المضمون كما يقول محاور التليفزيون!!

أفكار المشروعات كنز ثمين في رأسك، وكل شيء يحتاج التجربة، وها أنت تتابع مشاهد من الأحلام في أعماق الدماغ، وتكتشف لأول مرة أنك قادر علي تحويل الخيال إلي

حقيقة أسطع من مصباح مكتبك المتوهج ، فتلملم أوراقك
المتناثرة، وتكتب عشرة سطور في ورقة بيضاء تطويها
بحرص، وتضعها في ظرف تكتب علي جانبه: مهم للتنفيذ!!

المؤلف

أسامة قرمان

- * من مواليد ١٩٤٨ م.
- * حصل علي ليسانس الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٧١ م.
- * صحفي نقابي بجريدة "السياسي المصري" الصادرة عن مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر القومية.
- * عمل خبيراً بالصندوق المصري للتعاون الفني مع أفريقيا، وقام بأنشطة أدبية وفنية وإعلامية في جمهورية "جيبوتي".
- * نشرت بعض قصصه في دوريات صحفية متعددة مثل: المساء، الأهرام المسائي، اللقاء العربي، الملتقى الدولي، السياسي، تفتانين.
- * نوقشت قصصه في "تادي القصة" ونقابة الصحفيين (جماعة الجيل الجديد)، وكرمة ابن هاني (جماعة فضفضة).
- * صدرت مجموعته الأولى عن سلسلة (الكتاب الأول) الصادرة عن المجلس الأعلى للثقافة بعنوان (في انتظار شئ ما).
- * تحت الطبع:
 - مجموعتان قصصيتان بعنوان:
 - (كف عروسية) و (آفاق الواق).

المحتوى

- ٧ القاهرة .. بغداد ●
- ١٣ لاءات ●
- ١٩ حكاية الشيخ علي ●
- ٢٥ جريح بيكاديلي ●
- ٣١ آخر نفس ●
- ٣٥ الخروج من دوائر الوهم ●
- ٤٥ الكارثة ●
- ٥١ سر البلاء ●
- ٥٧ انتشال ●
- ٦١ لامعقول ●
- ٦٥ ولد اسمه مكرم ●
- ٧١ آخر مترو ●
- ٧٥ صراع الثلج والذهب ●
- ٨١ التيه ●
- ٨٧ الخروج من الشرنقة ●

منتدی سور الأزبکیۃ

WWW.BOOKS4ALL.NET



أسامة فرمان والقلم سنوان .

احتضنه بأصابه مذ خفق وجدانه ،
وأضاءت إشرافاته وصيه ، فباح
بأسرار قلبه ، وأفكار عقله لمنات
الصفحات وعشرات المجالات .
وهي أرض الكنانة مصر ، ووهاد العروبة
هي لجد ، ووهج الشمس في أفريقيّا ، وصقيع
البرد في أوروبا ، لم يكف عن التعبير
بالكتابة .
وهاهي مجموعته الثانية (لآيات)
تصدر لتؤكد أن صاحبها أديب صادق
يعد بمزيد من الإبداع الدافق .

الناشر

يطلب من ،



٢٩ عدنان أمّارة رمسيس (١) - شارع صلاح سالم
بجوار أرض المعارض - مدينة نصر القاهرة
الهاتف والفكس : ٢٠٠٢٢٢٠٠٠ - ص ب : ٢٩١٠٠٠٠٠٠
البريد الإلكتروني : dar_fayrouz@yahoo.com
www.dar_fayrouz.com



٢٩ عدنان أمّارة رمسيس (١) - شارع صلاح سالم
بجوار أرض المعارض - مدينة نصر القاهرة
الهاتف والفكس : ٢٠٠٢٢٢٠٠٠ - ص ب : ٢٩١٠٠٠٠٠٠
البريد الإلكتروني : dar_fayrouz@yahoo.com
www.dar_fayrouz.com



٢٩ عدنان أمّارة رمسيس - الجوز السكيني - القاهرة
البريد الإلكتروني : dar_fayrouz@yahoo.com - ص ب : ٢٩١٠٠٠٠٠٠٠
الهاتف والفكس : ٢٠٠٢٢٢٠٠٠ - ص ب : ٢٩١٠٠٠٠٠٠٠
البريد الإلكتروني : dar_fayrouz@yahoo.com
www.dar_fayrouz.com